ويختلف المعنى الذى يضفيه بارسونز على **النسق الاجتماعى** من موضع إلى آخر فى تحاليله . فيعرف النسق الاجتماعى فى البداية بأنه مجموعة من الفاعلين الأفراد يتفاعلون مع بعضهم البعض، ثم يعرفه فى مكان آخر بأنه شبكة من العلاقات القائمة بين الفاعلين أو شبكة من العلاقات التفاعلية . ويثير هذا التباين فى التعريفات مشكلة هامة خاصة بالمفهوم مؤداها : هل « النقط المادية » للنسق الاجتماعى هى الفاعلون أنفسهم أم العلاقات الاجتماعية ؟

ويعرف بارسونز النسق الاجتماعى بأنه مجموعة من الأفراد المدفوعين بميل إلى الإشباع الأمثل لاحتياجاتهم . أما العلاقات السائدة بين أفراد هذه المجموعة فتتحدد طبقًا لنسق من الأنماط المركبة والمشتركة ثقافيًا . وتحتاج هذه القضية — شأنها شأن كثير من القضايا التى تتضمنها مؤلفات بارسونز — إلى تفسير مفصل مرتكز على الإشارة المستمرة للتحليل السابق للفعل الاجتماعى . فالأفراد « مدفوعون إلى الإشباع الأمثل » لاحتياجاتهم التى تسيطر على **التوجيه الدافعى** كما أشرنا من قبل . وعلاوة على هذا يعرف بارسونز علاقة الأفراد بمواقفهم الاجتماعية فى ضوء الأنماط الثقافية الخاصة . وربما يشير مصطلح « علاقة » إلى ما يطلق عليه « توجيه » فى سياق آخر ؛ حيث يشير ذلك الجزء من أفكار بارسونز إلى المكونات الرئيسية الأخرى من توجيه الفاعل إزاء الموقف، وهو التوجيه القيمى . وهنا لا يظهر مصطلح « القيمة » صراحة فى أثناء التحليل، وإنما يمكن افتراض أن الأنماط تنطوى على قيم . وتتميز هذه الأنماط بتركيب ومشاركة ثقافية . ويمكن أن يكون هذا الجانب من النسق الاجتماعى بمثابة قنطرة بين الأنساق الاجتماعية والثقافية : فالنسق الاجتماعى ينطوى على شىء ينتمى إلى الثقافة .

على أن النسق الاجتماعى بالمعنى الذى حددناه فى الفقرة السابقة يختلف عن النسق الاجتماعى كمجموعة من الأفراد المتفاعلين ؛ فكثير من مجموعات الأفراد المتفاعلين لا تتصف بالسمات التى وصفناها فى التعريف الأسبق الأكثر شمولا . وربما يمكن القول بأن بارسونز لم يحدد بعد بشكل قاطع عناصر النسق الاجتماعى ، وهو تقصير حال دون تحديد بؤرة الدراسة السوسيولوجية بدقة . إذ من الممكن على أساس تعريف بارسونز المبسط للنسق الاجتماعى اعتبار كل حالة من حالات التفاعل الإنسانى نسقاً اجتماعياً ، لذلك كثيراً ما نجده يشير إلى « الأنساق الاجتماعية المستقرة » ، فنظريته عن ال

الاجتماعى – بشكل مطلق – هى فى الواقع نظرية فى النسق الاجتماعى المستقر(٢٢) . على أن هذا النقد – الذى أبداه بعض المعلقين على بارسونز – لا ينتقص من جهده الشامل وربما الواعى للتمييز نظريا بين الأنساق الاجتماعية ، والثقافية ، والشخصية ، والجمع بينها فى مخطط نظرى واحد .

وينظر بارسونز إلى الثقافة « كنتاج من ناحية ، وكعامل محدد من ناحية أخرى لأنساق التفاعل الاجتماعى الإنسانى »(٢٣) « وهو يؤكد – اتفاقاً مع التأكيد الأنثروبولوجى التقليدى – أن الثقافة تُتناقل ، وتُتعلم ، وتصبح مشتركة بين الناس . ويميز بارسونز – طبقاً لأساليب التوجيه الدافعى الثلاثة (المعروضة من قبل) بين ثلاثة أنواع رئيسية من الأنماط الحضارية هى :

١ – أنساق الأفكار أو المعتقدات ، وتتميز بأفضلية الميول الإدراكية .

٢ – أنساق الأفكار والرموز التعبيرية كالأشكال الفنية ، وتتميز بأفضلية الميول العاطفية (الميل إلى الأشياء أو رفضها) .

٣ – أنساق التوجيهات القيمية أو « الأنماط التكاملية »

وتتجه الأنماط الثقافية إلى الانتظام فى أنساق على أساس الاتساق المنطقى لأنساق المعتقدات ، أو الانسجام الأسلوبى للأشكال الفنية ، والملاءمة العقلية لكيان القواعد الأخلاقية . ولم يقم بارسونز بتحليل الأنساق الثقافية ، إذ يبدو أنه اعتبر ذلك مهمة تدخل فى اختصاص الأنثربولوجيا الثقافية . ويقتصر اهتمامه بالأنساق الثقافية – أساساً – على مدى تأثيرها فى الأنساق الاجتماعية والشخصية .

والموضوع الأساسى الذى تدور حوله النظرية السوسيولوجية عند بارسونز – كما تتبدى فى مؤلفاته المبكرة – هو « أداء الأبنية لوظيفتها » . ويتطلب التحليل البنائى الوظيفى معالجة منهجية لمكانات وأدوار الفاعلين الذين يضمهم موقف اجتماعى معين ،

---

(٢٢) كما يطلق بارسونز فى بعض المواضع على الأنساق المستقرة : اسم « أبنية » ، وهو المصطلح الذى يستخدمه كذلك للدلالة على مجموعات الأدوار الاجتماعية المستقرة إلى حد ما ، كما سنوضح فيما بعد . كذلك يستخدم مصطلح « جمعية » Collectivity (الذى يفضله على مصطلح « الجماعة الاجتماعية » المستخدم بكثرة) للإشارة إلى الفاعلين الذين يتميزون بأنماط قيمة مشتركة ، وبإحساس بالمسئولية بالوفاء بمتطلبات الدور الذى يشغلونه ، وبالتضامن الجماعى .

(٢٣) T. Parsons, The Social System, P. 15.

وكذلك للأنماط التنظيمية Institutional Patterns التى ينطوى عليها هذا الموقف . ويشير مفهوم المكانة إلى مكان (موقع) الفاعل فى نسق علاقة اجتماعية معينة منظوراً إليه كبناء ، أما الدور Role -- الذى لا ينفصل فى أى حالة ملموسة عن المكانة ويمثل الجانب الدينامى لهذه المكانة (ومن هنا جاء مفهوم الدور — المكانة) فيشير إلى سلوك الفاعل فى علاقاته مع آخرين ، إذا ما نظرنا إلى هذا السلوك فى سياق أهميته الوظيفية للنسق الاجتماعى . وتفهم الأنماط التنظيمية على أنها التوقعات المنمطة (أو «ذات البناء المعين») ، التى تحدد السلوك المناسب ثقافياً للأشخاص الذين يؤدون أدواراً اجتماعية مختلفة . ومجموعة أنماط الأدوار المعتمدة على بعضها هى التى تكون **النظام** Institution .

وفى سياق آخر يعرف بارسونز **النظم** بأنها مجموعة مركبة من الأنماط التنظيمية « الملائمة » للتحليل كوحدة بنائية فى النسق الاجتماعى . ومن شأن هذه الصياغة أن تنقل مفهوم النظام من مستوى الرمز الذى يمثل الواقع الاجتماعى إلى مستوى دراسة الواقع الاجتماعى . ذلك أن هذه الملاءمة ذات طبيعة علمية وليست اجتماعية . ولكن يبدو أن هذه النظرة الاسمية الواضحة قد خضعت للتعديل فى مؤلفات بارسونز الأحدث من ذلك ، ذلك أنه وصف « النظام » فى تلك المؤلفات بأنه ذو أهمية استراتيجية فى أى نسق اجتماعى موضوع للدراسة . وربما تعنى هذه العبارة أن أداء النظم لوظيفتها بقدر من الكفاءة ، يمثل شرطاً أولياً لهذا الاستقرار الذى يميز البناء أو النسق الاجتماعى المستقر عن النسق الاجتماعى بصفة عامة .

ويرى بارسونز أن النظم هى النقطة البؤرية فى علم الاجتماع . فيعرف علم الاجتماع ، أو النظرية الاجتماعية (تمييزاً له عن الأنثروبولوجيا التى يعتبرها نظرية الثقافة) بأنها ذلك الجانب من نظرية الأنساق الاجتماعية الذى يختص **بتكون النظام** Instiutionalization

ويؤكد بارسونز أن : « تكون النظام يجب أن يعتبر الميكانيزم الأساسى فى خلق التكامل فى الأنساق الاجتماعية[٢٤] ، ذلك أن تكون النظام ينطوى على كل من تكون بناء أو نمط لتوجيهات القيم فى النسق الاجتماعى ، و « استدماج » الأنساق القيمية فى الشخصية الإنسانية . فتكون النظام إذن هو العملية التى تخلق التكامل والاستقرار حقيقة ،

---

(٢٤) T. Parsons and E.A. Shile, eds, Toward a General Theory of Action (Cambridge, Mass., Harvard University Press, 1951), P. 159

فهو يخلق همزة وصل وطيدة بين المجتمع والثقافة من ناحية ، والشخصية والدوافع من ناحية أخرى. « وإذا عبرنا عن ذلك بمصطلحات الشخصية، قلنا إن هذا يعنى أن هناك عنصراً من تنظيم الأنا الأعلى المرتبط بكل نمط من أنماط توجيه الدور عند الفرد موضوع الدراسة. ويعنى استدماج عنصر الأنا الأعلى فى كل حالة الدافع إلى قبول أسبقية المصالح الجمعية على الشخصية داخل الحدود المناسبة وفى المناسبات الملائمة »(٢٥). وقد أسهب بارسونز فى شرح هذه القضية فى مؤلفيه « القيم ، والدوافع ، وأنساق الفعل » ، و« النسق الاجتماعى » وهى تعتبر مثالا لسبب وصف نظرية بارسونز الحديثة فى أغلب الأحيان ، بأنها ذات طابع سيكولوجى (وتحليلى نفسى إلى حد ما) أكثر منه سوسيولوجى .

ومن الطبيعى أن يكون بارسونز واعيًا كل الوعى بأن معالجته للنسق الاجتماعى تقرب علم الاجتماع من علم النفس بدرجة كبيرة . وتدلنا العبارة التالية على رأيه فى العلاقة بين هذين العلمين : « يبدو أن العلاقة بين علم النفس ونظرية الأنساق الاجتماعية وثيقة الشبه بعلاقة الكيمياء الحيوية بعلم الفسيولوجيا العام . فكما أن الكائن العضوى ليس مقولة من مقولات علم الكيمياء العام ، كذلك ليس النسق الاجتماعى مقولة من مقولات علم النفس . ولكن داخل إطار الفهم الفسيولوجى لكيفية أداء الكائن العضوى لوظيفته ، فإن العمليات تكون كيميائية فى طبيعتها . وبالمثل فإن عمليات السلوك الاجتماعى ليست سيكولوجية على الإطلاق ، ولكنها تفقد أهميتها فى فهم الظواهر الاجتماعية بدون المعنى الذى يضفيه عليها السياق النظامى البنائى »(٢٦).

وقد استحوذ أحد فروع النظرية التى عرضناها من قبل على القدر الأكبر من اهتمام زملاء بارسونز من علماء الاجتماع ، ذلك هو ما يسميه « متغيرات النمط » ، فهو يعتقد أن اكتشافه لهذه المتغيرات يمثل لب الإسهام النظرى الذى قدمه لعلم الاجتماع .

وتدل متغيرات النمط على البدائل Alternatives التى تبدو فى المعايير — أو

---

(٢٥) Ibid.

(٢٦) T. Parsons, Essays in Sociological Theory, Pure and Applied (Glencoe III, The Free Press, 1949 P. 38. ويؤكد بارسونز فى مؤلف لاحق (النسق الاجتماعى) أن نظريته السوسيولوجية ليست قائمة على علم النفس ، وإنما على نظرية عامة فى الفعل ، حدد هو وزملاؤه خطوطها العامة فى الجزء الأول من كتاب « نحو نظرية عامة للفعل » .

أنماط توقعات الدور — وفى اختيارات الفرد . ويقدم لنا بارسونز فى كتابه « النسق الاجتماعى » خمسة أزواج من هذه البدائل يعتبرها شاملة ، على أساس مستوى معين من التعميم ، ولكنه يشير فى مقال ظهر بعد ذلك (ورد ذكره فى الحاشية رقم ٢٠) إلى إمكان إقامة زوج سادس. ولكنه لم يواصل هذا الخط فى المؤلفات اللاحقة على ذلك. وقد حدد المتغيرات النمطية الخمسة على النحو التالى :

١ — **الوجدانية فى مقابل الحياد الوجدانى** : فيعتبر النمط وجدانيًا ، إذا كان يتيح الإشباع المباشر لحاجة الفاعل ، بينما يعتبر محايداً من الناحية الوجدانية إذا كان يفرض النظام ، ويتطلب التخلى من أجل مصالح الآخرين .

٢ — **المصلحة الذاتية فى مقابل المصلحة الجمعية** : فقد تعتبر المعايير الاجتماعية أن من المشروع سعى الفاعل وراء مصالحه الخاصة ، أو تجبره على العمل من أجل مصالح الجماعة .

٣ — **العمومية فى مقابل الخصوصية** : ويشير المتغير الأول إلى مستويات القيمة التى على درجة كبيرة من العمومية ، بينما يشير الثانى إلى المستويات التى لها دلالة لفاعل معين فى علاقات معينة مع أشخاص معينين .

٤ — **الأداء فى مقابل النوعية** : (وكان يسميه فى الأصل : الإنجاز فى مقابل العزو (النسبة) : فإما أن يكون التأكيد على تحقيق أهداف معينة (الأداء) ، أو على خصائص الشخص الآخر ، أى على الحقيقة التى مؤداها أنه كذا وكذا ، كأن يكون أب الفاعل طبيباً مثلا ، وهكذا .

٥ — **التخصص فى مقابل الانتشار** : فيمكن أن يعرف مصلحة ما على وجه التخصيص ، بحيث لا يكون هناك ثمة إلزام أبعد من تلك الحدود المرسومة ، أو تعرف بشكل عام بحيث تتجاوز الالتزامات حدود التعريف الظاهر الذى يفترض وجوده .

وقد يقول البعض إنه لما كانت هذه البدائل مستقلة عن بعضها أساسًا ، فإنه من الممكن إيجاد اثنين وثلاثين رابطة بين « أنماط توقع الدور » وقد درس بارسونز نفسه — فى كتاب « النسق الاجتماعى » — ست عشرة رابطة من هذا النوع ، حيث وضع البديل الثانى فى مركز متوسط بسبب أهميته الخاصة فى التكامل ، بينما عمد

مؤلفه « أوراق عمل » إلى تطبيق نفس البديل — فقط — على العلاقات الموجودة بين الأنساق لا بين المكونات الداخلية للأنساق ، ثم زاوج بين البدائل الأخرى بهذه الطريقة بحيث لم تتبق سوى أربعة ارتباطات هى : الخصوصية والعمومية ، والوجدانية والأداء ، والانتشار والتخصيص ، والحياد الوجدانى بالإضافة إلى النوعية .

وقد استخدم هذا المخطط المعدل لمتغيرات النمط فى كتابه « الأسرة والتنشئة الاجتماعية وعملية التفاعل » Family, Socialization and Interaction Process ، وهو المؤلف الذى يركز على عملية التنشئة الاجتماعية للطفل داخل الأسرة . وفيه يعرض علينا نظرية فى « الانقسام الشطرى » binary fission المتتابع ، الذى تكون من خلاله شخصية كاملة اجتماعية . ويقال إن عملية النمو هذه تتميز ببعض المراحل الشاملة المقررة سلفاً ، وهو قول يتفق مع النظرية الفرويدية . وتتأثر عملية « الانقسام الشطرى » خلال أعلى مراحل النمو — وحيث تستكمل عملية التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة بخبرات أخرى — بتلك البدائل النمطية التى وصفها فى مؤلف « أوراق عمل » . ويبدو أن الخلفية الأمبيريقية لتلك الدراسة كانت نوعاً من الملاحظة المشاركة لأسر الطبقة الوسطى العادية ، التى ربما كانت أكثر استبداداً من معظم الأسر الأمريكية . وقد عرض موريس زيلدتش (الابن) Morris Zelditch, Jr. — فى فصل خاص — لدراسة مقارنة لتوزيع الأدوار فى « الأسرة الصغيرة » nuclear family فى ستة وخمسين مجتمعاً . وقد خلص إلى أن عملية التنشئة الاجتماعية فى ستة وأربعين من هذه المجتمعات تتم وفقاً لنظرية بارسونز . ولو صحيت هذه النتيجة لأبطلت بطبيعة الحال الفرض الذى مؤداه أن عملية التفاوت — كما وصفها بارسونز — ذات صدق عام(٢٧) .

والواقع أنه من الصعب تحديد مكان نظرية بارسونز فى عالم النظريات السوسيولوجية المعاصرة . فهو ليس وضعياً محدثاً ، كما أنه ليس سلوكياً بالتأكيد . إنه يؤكد النظرة الوظيفية التى ربما أمكن توضيحها على أفضل نحو بالرأى الذى يقول فيه ، إن الأبنية الاجتماعية الجزئية تقوم بعملها كميكانزيمات تؤدى إلى كفالة المتطلبات الوظيفية لاستمرار الأنساق الاجتماعية . على أن بارسونز كثيراً ما يطابق بين هذا المعنى للوظيفة

---

(٢٧) وقد أبدى « بيتر بلاو » هذه الملاحظة فى مقال له نشر فى :

American Journal of Sociology, Vol. 61 (March 1956).